بول غيراغوسيان :
الواقع اليومي هو موضوعي ومصدر الهامي

دات يوم ، عندما كان بول غيراغوسيان في السابعة من عمره ، اخذ يخربش اشكالا على دفتر المدرسة ، بدلا من ان ينصت للمعلم . فقرر المعلم ان يعاقبه على ذلك، فبعثه الى مدير المدرسة ، وبيده اوراق العبث والاهمال . فقال له المدير : « سنثبت رسومك على جدران الصف . فانت ولد رسام » . من يومها اكتشف بول غيراغوسيان ان الرسم ليس نشاطا يمارسه سائر البشر . وانه ليس بتلقائية الضحك والبكاء والنوم .

واليوم ، يؤكد هذا الفنان ذو الاصل الارمني ، وبعد ٢٦ معرضا خاصا به منها ١١ معرضا في بلدان اجنبية ، وعشرات المعارض الجماعية ، انه من اكثر الفنانين تمثلا لواقعه الاجتماعي ، وان الفن لديه هو نتاج لمعاناة الوعي .

وعندما اصبح في الخامسة والعشرين اكتشف ان دراسته لا تعلمه شيئا ، وفي باريس تخلص نهائيا من عقدة الدراسة في ان يكون الفنان ابن الاكاديمية ؛ . لم استانف حياته الفنية في معارضة متلاحقة ، من خلال شبكة من التاثيرات الفنية المختلفة : تاثيـرات عصر النهضة ، الانطباعية ، فان جوخ وغوغان . تاثيرات مصرية قديمة ، سورية ...

ومنذ زمن تقدم لوحات بول غيراغوسيان (في العدد الرابع ، نشأ حسبح طفولته في القدس) نسيجا خاصا من الفن هو محصلة تفاعل طويل وعميق ، قطباها : الفنية الفنية الاوروبية منذ عصر النهضة ، والارث الشرقي بابعاد اثاره توغلا في التاريخ . وفي ذلك تمثل اعماله محاولة جدية لتحويل « العودة الى التراث » من مجرد تكرار شكلي ، الى اداة تعبيرية متحررة من اصولها الزمانية والمكانية ، في اطار اللحظة الاجتماعية والتاريخية ، وهنا اهميته في الحوار الدائر مع الفنانين اللبنانيين ، الذي تعقده « الهدف » ..

● لنبدأ بمفهومك لحريتك كفنان ...

ـ اريد ان اقول في البدء ، اني ضد الفن الذي لا يحصل على حريته ضمن سجنه . ضمن بحثه وقلقه وعذابه . بالمعنى الذي يحقق فيه الجندي حريته في جبهة القتال ، ضمن مترين من مساحة الخندق . الهرب ليس حرية ، كما ان الشخص الذي يتعرض للتحدي ويهرب الى سويسرا ، ليس حرا . الحرية تبدأ في الصدور عن الواقع، والعمل الدائب على تغييره . المهم ان يرجع الفنان دائما الى الواقع ، الى الحياة الحية اليومية .

ان الصورة المختبرية (الذهنية) هي دائما تافهة ، ذلك ان الواقع هو دائما مادة الذاكرة والمخيلة . واذا لم يكن الفنان مقيما في الواقع

(٤) ■ شكل ■

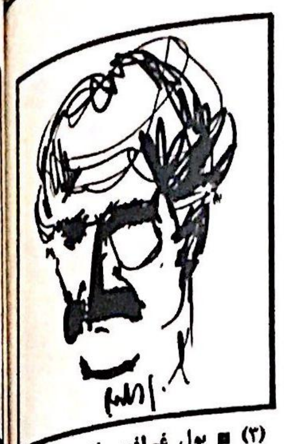

(٣) ■ بول غيراغوسيان بريشته ■

(٢) ■ شكل ■

مشاركا فيه ، متعاطيا ومتفاعلا معه ، فانه لا يمكن ان يملك مخيلة او ذاكرة .

● تلح على الواقع ، الحياة ، الحقيقة ، بأي معنى ؟

ـ الواقع هو النسب الحقيقية . انا ضد الضربة العشواء في الفن . ضربة الفرشاة المائعة والمجانية . ان النسب هي التي تحدد اتجاه ضربة الفرشاة وحجمها وموضوعها . سر الكون، خلاصة الحياة ، في النسب .

● هل الواقع مجرد نسب ؟

ـ الانسان سيد الواقع ، نسبه المحددة ، وتحديد هذه النسب ، هي الصعوبة في الفن . داخل التحديد تاخذ حريتك . بعض الفنانين يخجلون ويدعون بتحديد « من عندهم » . وهذا سبب فشلهم . انهم يدعون ان ذلك من مدرسة الزان (اليابانية والصينية) .

ان ضربة فرشاة واحدة عند فنان « زني » حقيقي ، تعبر عن عصفور واحيانا عن بقرة او شجرة . بينما عند الفنانين « الطليعيين » تعبر عن لا شيء ، عن لون للفراغ . ان الفنان الزني يراقب ويلاحظ الشجرة ، منظر رجل يشد بقرة عنده ، قبل ان يعبر عن ذلك بخطين . اي ان ضربات فرشاته السريعة الرشيقة هي حصيلة معاناة ودربة فنية طويلة . عند ذلك تنطلق حواسه وعضلاته : يده ، عينه ، قلبه ، مخيلته لالتقاط الموضوع . فتصبح اليد عين ، والعين قلب ، والقلب مخيلة ، حتى يصل الى ذروة الانفعال ، ومنتهى الاتحاد .

● على ضوء ذلك كيف ترى الى فنانينا ؟

ـ كسالى . لا يجهدون انفسهم في مشقة البحث . يتصورون لذة الحياة في الثرثرة والنوم. فيما اللذة هي ان تختار موضوعك وتحياه وتنفذه . من هذا الباب ، يفكر فنانون في الشكل ، في اللون ، في المدرسة . ثم ينسون الفن اذ يغادرون الحياة . يتحدثون عن شفافية اللون ، والاسلوب الخاص ، فيما الفن ليس محض طريقة واسلوب . ليس المهم كيف تقول بل ماذا تقول . وعند ذلك يمكن ان تحمل قلم رصاص وترسم ما تريده ، الفن ليس جمالا فقط . انه حقيقة . انه الجمال الثاني جمال القوة والبراءة . الالوان وحدها تصنع حذاء جميلا ولا تصنع لوحة جميلة ، الزينة شأن التجارة وليس الفن .

انني ارى الفن في التعبير عن معاناة انسانية ، عبر خصوصية معينة . عن كفاح الشعوب من اجل حقوقها ، الفن متعة ومرارة

بذات الوقت . الفنان العظيم يرسم زهرة وفي خاطره خلاص الانسان . عندها لا بد ان تكون ثمة معركة داخل الزهرة . لوحات فان جوخ الجميلة كانت تبكي وتغضب وتثور بعصبية .

● هل تحدثنا عن نومك للحداثة ؟

ـ يدعي الفنانون المعاصرون ، ومن ضمنهم العرب ، ان ظواهر عصرنا المتمثلة بسطوة الآلة والسرعة ، والضجيج ، والفردية ، تجعلهم يعكسون ذلك «باماتة» في اعمالهم . اماتة تعبر عن نفسها بالفوضى والتسيب . ويدعي البعض ان الهرب الى اللاموضوع هو الوثوق في مستوى العصر . ويعللون ذلك تاريخيا بالرفض ما بعد الحرب العالمية الثانية . هذا كله كلام فارغ . اولا الواقع ليس هو واقع المجتمعات الاوروبية فقط . وثانيا ان هذه الظواهر حافز لاعادة اتصال الفنان بالواقع الانساني واللذي . وذلك بافتراض الفنان ان هذه الظواهر سلبية ويجب ان تتغير .

ان دمعة الطفل لم تتغير منذ آلاف السنين ، وكذلك الحب والبراءة والبطولة . ليس هناك بطولة قديمة وجديدة . ان ظواهر عصرنا السيئة يجب ان تدفع الفنان لان يتشبث اكثر بالواقع ويخوض فيه ، وذلك ليتمكن الانسان من ان يجمع القوى لمحاربة هذا الواقع الغلط والمسرطن .

ان تلك الادعاءات هي للالهاء فقط ، لالهاء الناس ثم لسرقة حقهم وشرفهم ، والمستفيد من هذا الواقع الخطأ هو الذي يروج لمثل هذا المنطق السخيف .

● صحيح ان جوهر الاضطهاد قديم ، الا ان شكله ومعطياته تختلف من زمن لآخر .

ـ نعم . ساضيف ، انه مع سرعة التحولات في الخارج ، يجب ان تكون معاناتنا عميقة ، بطيئة ، ولا ينبغي ان نخدع بكل ما هو حديث . لنترك نمونا حتى نتحرر منها : الاصالة ، الفردية ، الانا على زعمهم . ان كل فنان مدعو للسعي نحو شخصيته الخاصة ، عبر نزوع ذاتي لنتذكر ان شخصية الفنان تنمو وتتبلور ضمن اطار جماعي : فان جوخ ، سيزان ، جوجان احتفظوا بشخصياتهم ، ضمن مدرسة واحدة واحد في الفن (الانطباعية) . الجماعية ليست ضد الذاتية بل ضد الفردية .

علم الفنان العربي انه يريد اختراع فن وعالم خاص . نريد تكتل فني ، لاننا نريد رؤية فنية واحدة منسجمة ومتجانسة .

● تكملا للسؤال السابق ، كيف ترى الى فنانينا المعاصرين بهذه اللحظة ؟

ـ لسوء الحظ ، ان فنانينا مستشرقيـ[illegible]ـوا شرقيين . يدعـون انهم صوف ، ... الى فن المنطقة بعيون الفرنسيين الذين ... من تراث اجدادنا . لذلك جاءت اعمالهم ... انا رسم الفنان العربي دون ان «يعكر» ، ... هي نقال مفتعل ، يصبح شرقيا . بالعمل ... يعبر شرقيا عربيا جديدا . التـراث ... وكامن في ذات الانسان في بيته ، هل يقلد ... نفسه ؟! ان الاساس موجود فينا ، لكن ... ان نغسل من الصدا .

... التراث ، والروحية العربية ليست لغة ، ... روحية . وخطأ فنانينا انهم يعبرون ... لغة المستشرقين . اريد ان القول

(١) ■ لوحة ■

ان اثارة موضوع التراث كازمة ، هو هاجس مفتعل .

● البعض يحقق صلته بالتراث من خلال رموز وبطولات وقصة معينة . هل ترى صلتك بالتراث عبر تصور مختلف ؟

ـ انني لا اريد ان اصور عنتر الجاهلي لانه غير موجود . اريد « عنتر » الحديث ، الذي يتعاطى مع القضايا الراهنة ويؤثر فيها ، لا اريد عنتر التاريخي .

ان تشوقنا لعنتر القديم جديرة بدفعنا لخلق عنتر الجديد ، الذي هو بلا شك شخص مختلف وبطولته مختلفة : الفدائي ، العامل ، الطبيب. اريد ان اقول كذلك : ان اللجوء الى عنتر القديم هو خوف واعتراف بالضعف .

● ما دمنا قد وصلنا الى هذه النقطة ، كيف رأيت الاعمال الفنية المتصلة بالمقاومة الفلسطينية ؟

ـ بعضهم صور بصدق وهؤلاء قلائل ، والباقين انجزوا ملصقات دعاوية عادية . لا ادري لماذا يقتصر تصوير المقاومة على البندقية ؟ لا بد من تصوير مواضيع الحياة التي تنبثق منها المقاومة ، هناك البشر البسطاء العاديون ، الذين تطالهم الاضطهاد ويمارسون مقاومة صامتة . ان المقاومة ليست بطولة فرد ، بل حياة شعب ، وفن المقاومة يجب ان يعبر عن ارادة المقاومة الكامنة في حياة هذا الشعب . فن المقاومة يجب ان يدفعك لان تبكي وانت تبتسم . وان تثار حميتك وانت منقبض وحزين .

انني عندما ارسم طفلة صغيرة ، ذاهبة الى المدرسة عبر الحقل ، والخوف باد على وجهها فانني اعبر عن المقاومة . فهذه الطفلة رغم الخطر تطالب بالحياة .

● يلاحظ ان الانسان هو بطل لوحاتك الدائم ، هو محور نتاجك . بماذا تفسر ذلك ؟

ـ منذ كنت طفلا (١٢ سنة) كنت ارسم الانسان باوضاع مختلفة . بدات برسم الوجوه، وبعد ذلك اخذت ارسم اكثر من شخص في اللوحة الواحدة . في اثناء دراستي في باريس كنت ارسم العمال الذين يركضون للحاق بالمترو ، والجماعات المنتظرة تحت المطر ، والعشاق في الحدائق . غير ان الماضي في حي شعبي (برج حمود) قد عمقت نظرتي نحو الانسان .

● ثمة من يقول انك لا تمارس حياتك في الحي الشعبي ، بل تستمد موضوعاتك منه ؟

ـ هل الموضوعات تحتاج الى اقامة ٢٠ عاما متواصلا ؟ انني هنا اشعر بمعنى لحياتي ، واتصل باكثر موضوعات الحياة عفوية وجذرية . بالبؤس والتعب والشجاعة ، بالانسان كما هو ، في صراعه من اجل الخبز والفرح . اما الحي « الراقي » فلا يقدم لي الا مجموعة من التشوهات المزخرفة ، الملونة . ان المسالة ، مسالة اختيار طريقة حياة ، وليس طريقة فن . الناقد الفرنسي ميشيل راغون لاحظ كيف انني رغم وجودي في باريس (بشكل متقطع ، واحيانا) ما زلت ارى العالم عبر الحي الذي اعيش فيه ، قلت له : الحي الذي ارسمه هو حي الانسان كما اعرفه واؤمن به . ومن خلاله ارى انسان العالم.

● هل حرصك على الاتصال المباشر بالناس، يدفعك للتفكير بفهم الناس للخلق الفني ؟

ـ نعم . اني افكر بالجمهور . لانني ارسم الناس واعرض لهم . لو كنت اعيش معهم لما خلقت لوحاتي . ان تفكيري بهم لا يشكل اي عبء علي . حريتي هي مشاركتي للناس . ونجاح لوحتي مرهون بموقفهم منها . قد لا « يفهم » معظمهم لوحتي ، لكنهم يشعرونها ، ويتفاعلون بها ومعها ، انني لا ارسم كي يفهمني الناس بعد ٥٠ عاما . يقول بعض الفنانين (سيفهمني الناس بعد ٥٠ سنة) . هذه حجة مكشوفة وسخيفة لحل ازمة الفنان مع جمهوره .

من خلال تجربتي الشخصية ، لاحظت ان اللوحة التي امارس فيها الصدق ، واتعب واعاني ، تلاقي صدى عند الجمهور . ان ذلك يريحني ، ويملؤني بالعزيمة والايمان .

لسوء الحظ ، فان انتاج فنانينا هو للمثقفين، النخبة . « لخمسة اشخاص » . ان المشكلة هي وقوعنا في مهزلة « المدارس الفنية » . الفن ليس المدرسة ، انه اكبر من ذلك . بعض الناس والنقاد كذلك يسالون عن المدرسة ، ولا يسالون عن قوة التعبير . لقد تعود الناقد على ان لا يشعر باللوحة ، واذا ما شعر بوضوح وعمق فانه .. يشك بنفسه . بات لا يشعر بالفن الراقي ، لان مقاييس الناقد اختلطت ، وذوقه اختلط ، وحساسيته كذلك . اننا نهرب من الواقع ، من الانسان ، من الحياة ... الى الكذب والتافهة والتسكع على انجازات الاخرين .

اصبحت المسالة في الفن ان تكون بالتجريد او لا تكون .

ان الفن جزء من الثورة ، فاذا لم يخدمها تحول الى نشاط رجعي . في بعض البلدان يحطمون معرضا ما ، لانه لا يعبر عن مواضيع الثورة . لو كنت في الصين لرسمت ما يريدون، لاني عند ذلك استطيع ان اعبر عما اريد .

عزيز الشيخ

● .. الرسم بالفخار

الفخار من اقدم المواد التي استغلها الانسان لممارسة الفن . وقد ارتبط بحياته اليومية منذ عصور قديمة . وبواسطة والنقوش الرسوم التي نفذت على الفخار . استدل رجال الآثار على انماط الحيـاة عبر التاريخ وربطوا استدلالهم بالمعطيات الاثرية الاخرى .

انتهى فن الخزف والفخار الاسلامي بعد اجتياح هولاكو لبغداد في القرن الثالث عشر ، ولم يعد يظهر طيلة ٧٠٠ عام بعد ذلك . وفي العصر الحديث ، جرت عام ١٩٥٧ اول محاولة جدية ذات اثر كبير ، في تثبيت اسس الفخار في العراق ،عندما افتتح فرع للفخارين في معهد الفنون الجميلة .

لقد مرت ١٤ عاما على ذلك ، وخلال هذا الزمن تمكن الخزافون العراقيون من

ابداع اعمال فنية منفردة في معاصرتها وجودة تكنيكها . لقد حاز الخزافون العراقيون على جدارة لائقة ، واستطاعوا تثبيت شخصيتهم في اطار الفن العراقي، واكتسبوا اهتماما واسعا من نقاد الفن العالميين ، رغم ان اعمالهم عرضت على نطاق ضيق .

ويذكر انه قد تخرج من فرع الفخار في اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد عدد من الخزافين ، اقاموا معارض لاعمالهم بصورة مستمرة ومن بين هؤلاء الفنان محمود طه المولود في يافا ١٩٤٢ (اقام اول معرض شخصي عام ١٩٦٨ ، واشترك عام ١٩٧٠ في بينالي بالاسكندرية) .

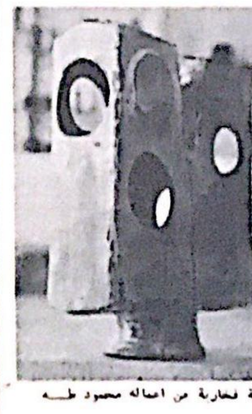

آنية فخارية من اعماله محمود طه

ان السمة العامة لفخاريات محمود طه، هي استخدام الاشكال النحتية المعاصرة، في تنفيذ اعماله وهذه ما يجعلها قريبة من فن النحت ، على انها تظل تحتفظ برغم ذلك ، على انتمائها للفخار من خلال تغليب العناصر والمفردات الخزفية الفخارية على العناصر النحتية . اضافة الى ان طابع اعماله الاستخدام والضرورة اليومية للعمل ، مما ينعكس على فخارياته طبيعة خاصة .

ان محمود طه واحد من الخزافين العرب الذين تمكنوا من الارتفاع بمستوى هذا الفن النادر ، وجعله قريبا الى حاجات الانسان اليومية . وفي الوقت الذي تتسارع فيه الاهتمامات بفنون « اكثر طليعية » تحتل اعمال محمود طه قيمة رائدة ، كما ظهر ذلك في معرضه الذي اقامه في عمان ، منذ اسبوعين .

أ . ز

● في انتظار الصوت

- ١ -

باسم الحب
باسم عيون الشعب
باسم القتلى والفرباء
باسم الرمل النازف في الصحراء
باسم شهادات الاطفال
اكتب فوق جدار الدهشة ...

اكتب للاجيال
عن زمن اصبح فيه الرعب
عشق الزهرة
عن زمن اصبح فيه الحب خطيئة
والايمان خطيئة .
عن زمن يحفر فيه الميت ... قبره

- ٢ -

سقط الثلج الاحمر
سقط الهلع الساخن ...
فوق اليابس والاخضر
صار لعاب الارض نزيف الارض
صار الخوف السائل .. ثوبا للعرض
صارت ضحكات الاحياء ...
جراح الاحياء
صارت احلام الفرباء ...
حرائق الفرباء

واكتمل الموت ...
وصار الدم جنازة ماء

- ٣ -

اركض في مدن الاصوات المهجورة
اركض حافي القدمين ...
ومخطوف اللون
اركض كالقاتل ... مقلوب الراس
يحرث جسمي الوهم القاسي
يقطعني ... طولا .. عرضا
يجمع آخر انفاسي ...
وانا في الدائرة الصمة
انتظر الفرح القادم في قاطرة الرغبة
انتظر الصوت ..
لكني ـ يا حب، قلبي ـ
لا ادرك في تلك اللحظة ...
الا الموت

- ٤ -

جروني يا احبابي نحو الصوت
جروني للساحات المغلقة ، المفتوحة
جروني للاحداق المجروحة
واذا شئتم نحو الموت

عصام ترشحاني
حلب

ضوء الأناشيد

[illegible]

....

مهر عينيك وجه الاله ...
الذي اغتربت في تقاسيمه الذاكرة
لم يكن حبنا ورقة في دروب الخريف
مطرزة بالرؤى العابرة
او نشيدا ينوء باحزانه ...
عند بوابة الانتظار المسائي ..
يستجمع الخطوة العابرة ..

جائما كرعود الشتاء ...
على صدر نافذة ...
لعيون امبراطورة غابرة ...،
لم يكن حبنا ضحكة ...
في خطى فارس
من ضباب النبوءات قادم ...

او سوار اغتراب ـ
تجشم عبء الرحيل ..
على صهوة الريح
والافق غائم ...
ارق الدمع ..
يبحث عن لون فيروز ..
بين الشظايا وبين الملاحم...
حبنا ان طعم الاسى ..
شاطىء لاغاني هوى العائدين
ودمع المغني قمح المواسم ...
حبنا ان نصير الجراح سيوفا ...

تداعب اشواقها همسات البراعم،
لم يكن حبنا السرمدي جميلا ..
كقطر الندى ...
سرح الشعر حالم ..
او نقيا عنيفا .. كحب الملوح
او هادئا .. شاحبا
كهديل الحمائم ...
حبنا ان تولي غيوم الحروب
وتفتح بوابة الانتظار ...

وتصير المواعيد بيدر شمس ..
وينعم بالدفء ، ك .
كل الصغار ...
ـ ياحياة ـ التي انتزعت من صباها
الحياة ..
شعلة نار ..
لم تموتي ولم تدفني ...
قهقهات العصافير تسال عنك ..
وكل دروب النهار ..
واهازيجك الناعسات ..
وارصفة الشارع المتعبات ...
وكل السواقي

وكل فصول البذار ..
يا حياة استردي الحياة ...
فعيناك تكتب بالصمت ..
احلى قصيدة حب ...
وعرس انتصار ..
واساطير نيرونهم ..

تحت اقدام اطفالنا ستداس...
وينسل ضوء الاناشيد
من عتمات الغبار ..
يا حياة استردي الحياة ..
وافتحي باب عشتار للقادمين..
واضيئي مصابيحه الساهرات..

ر. البكري